20060225-0001-l

إغتيال الصحافية العراقية أطوار بهجت

هل بات الموت مكتوباً على الباحثين عن الحقيقة؟

صحافية أخرى قتلت!... الزميلة في "مهنة المتاعب" أطوار بهجت، إغتيلت. وجدت جثتها مرمية في الطريق بعد نصف ساعة من خطفها. في الملابس عينها التي ظهرت فيهما للمرة الأخيرة على شاشة "العربية". الجاكيت الخضراء... لكن فولارها المتمايز سقط وإختلط شعرها بدمائها... أطوار، الصحافية العراقية، التي إختارت أن تضع حول عنقها سلسلة من الذهب تتدلى منها خريطة العراق، إقتيدت وزميلين لها في سامراء، هما المصور خالد محمود الفلاحي (39 عاماً) ومهندس البث عدنان خير الله (36 عاماً)، من قبل مسلحين الى جهة مجهولة. وصل المسلحون فجأة (ويقال أنهم معروفون) وهم يطلقون الرصاص. يسألون: أين المذيعة؟ كانت داخل "فان" البث المباشر بعد تغطيتها تطورات الإعتداء على مرقد الأمامين علي الهادي وحسن العسكري. "طلبت" و"أخذت" أمام عيون جمع من الناس. عندما حاول زميلاها تهدئة المسلحين، اقتيدوا معها وتمت تصفيتهم.

أوف! أسمع بالخبر، أغرق في وعاء الحزن المعتاد الذي طفح وطاف وملأ الدنيا "صراخاً – صامتاً"، منذ فقداننا الشهيدين الصحافيين جبران تويني وسمير قصير. أحاول أن أنتفض... أبكي على أطوار وخالد وعدنان... أحزن على أطوار، وأنا لا أعرفها شخصياً، لكني سمعت عنها من صديقتي مريم، التي تغطي هي الأخرى أخبار العراق في بغداد، وهي تعرفها منذ عامين. تلتقيها في كل المؤتمرات الصحافية، تخبرني عن شجاعتها، عن عدم إنحيازها لأي فريق، عن سعادة المسؤولين في مكتب "العربية" في العراق وحماستهم لإنضمامها أخيراً الى فريقهم منذ شهر تقريباً.

خطفت أمام جمع من البشر، من الزملاء. وهي تطلب المساعدة. لكن من يعترض يخطف، ويرمى في الطريق جثة سائبة. فأسأل نفسي: هل كنت صمت لو حصل ذلك على مرأى ومسمع مني، أم كنت سأمسك بها وأتوسلهم عدم جرّها؟ فيقتادونني معها؟...

أتصل سريعاً بصديقتي مريم لأقول لها: لا تعودي الى بغداد، "خلص" لم أعد أحتمل رحيل زملاء في مهنة يتربص بهم القتلة على أنواعهم... لكنها أقفلت الخط ولم تقتنع. ستعود الى العراق.

وأبقى مسمّرة أمام شاشة التلفزيون أتابع التفاصيل عن أطوار، وأعيد ما قالته لي مريم وهي لا تزال تحت وطأة الصدمة، كم أن أطوار وطنية والأقرب الى الموضوعية في تغطية صراع بات يهدد أكثر من وقت مضى بأن يتحول "حرباً أهلية". كم أن أطوار مجتهدة، بارعة في مهنتها. كم أن أطوار معروفة في الشارع العراقي، "مشهورة ومحبوبة". كم أنها متواضعة ولطيفة أكثر مما يمكنني أن أتخيل...

قرأت في وكالات الأنباء أنها من أب سني وأم شيعية، أي من زواج مختلط. لا بدّ من ان الامر أتاح لها أكثر من غيرها فهم التشنجات التي تختلج في صدر الجهتين. كان لديها إيمان راسخ بوحدة العراق، فخورة كما تظهر أمام كل المشاهدين بإنتمائها الى هذه الأرض الحلوة، أرض دجلة والفرات...

فكرت أن أعاود الإتصال بصديقتي لأقنعها مرة أخرى بالا تذهب الى هناك، إذ تعلمنا معا أنه من الأفضل لنا أن نبقى وننقل الخبر كل يوم، على أن نكون الخبر نفسه ليوم أو يومين فقط...

لكني لم افعل هذه المرة.

أتوقف عن متابعة الأخبار عبر التلفزيون في مكتبي، وأدخل الكومبيوتر لأخرج التقرير الأخير الذي حدد عدد الصحافيين الذي قتلوا العام الفائت. "47 صحافيا قتلوا عام 2005، ومعظمهم قتلوا لإسكات إنتقاداتهم أو معاقبتهم على عملهم، وفق التقرير السنوي للجنة حماية الصحافيين في نيويورك. كما تبين أن العراق هي منطقة الصراع القاتل للإعلاميين بإمتياز.

وقد وصل المجموع الى مقتل 60 صحافيا خلال قيامهم بتغطية الأحداث في العراق منذ الإجتياح الأميركي في آذار 2003.

وسجلّت اللجنة، حين إصدار تقريرها، أنه من خلال عملها السنوي المتواصل تبين أن معظم من إغتالوا هؤلاء الصحافيين يذهبون من دون عقاب، وأنه أفلت من العقاب 90 في المئة عام 2005 ممن قاموا بعمليات ذبح".

عام آخر، وعدد آخر من الصحافيين يقتل... ترى الى أي رقم سيصل هذه السنة؟ طعنة وراء طعنة ولا من يلاحق القتلة بجدية. كم ترى سيرحل من صحافيين لتتخذ إجراءات صارمة لتفادي حصول ما حصل... ترى ما العمل؟

لسخرية الحال الإنسانية ان كل ما يمكنني فعله هو أن مشهدها "مرمية" بهذه الطريقة لن يغادر شاشة ذاكرتي...

مي اليان رزق

حملة "اكسروا الصمت وقولوا لا للعنف" تنطلق

نصري الصايغ: الحرب الأهلية لا تولد بقرار

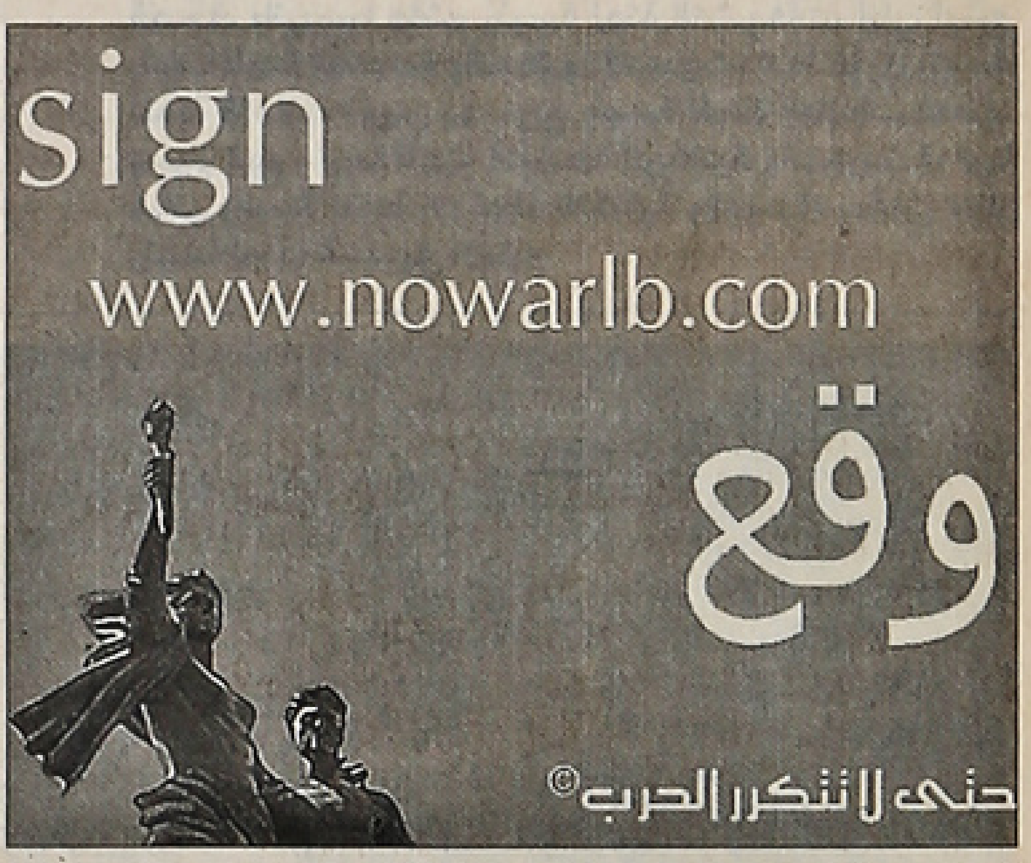

كتبت زينب عساف:

لا لأنه موسم "العرائض" تطلق حملة "اكسروا الصمت وقولوا لا للعنف" عريضتها الرافضة لعودة الحرب، بل خوفاً من العوارض الكثيرة التي اصابت الساحة اللبنانية. الصحافي والمحلل نصري الصايغ لا يرى الحرب على الابواب، لكنه يؤمن بالمعادلة الآتية: "من حق اللبنانيين وكتلهم السياسية الاختلاف على كل شيء، لكن من واجبهم الاتفاق على نبذ العنف، عنف الاتهام وعنف الموقف". هذا الخوف يجد ترجمته عبر مجموعة نشاطات ومبادرات، تأتي تباعاً، وتحض المجتمع المدني على الاطلاع بدوره، فكما تصنع الحرب قلة، توقفها قلة اخرى.

يعود الصايغ الى جذور الفكرة: "انطلقنا من خوف اللبنانيين من الحرب. هذا الخوف مبرر وله دلائل. اللبنانيون عاشوا التجربة من قبل: اكثر من 100 الف قتيل في ما عدا الجرحى والمعوقون، مليون و200 ألف مهجّر فضلاً عن المهاجرين، والخسائر الاقتصادية والمناطقية، وهم يشهدون يومياً هذا الاصطفاف الطائفي. من حق الكتل الطائفية الشرعية (كونها منتخبة نيابياً) ان تطالب بحقوقها، لكن يجب الابتعاد عن العنف: عنف الكلام وعنف النيات المبيتة التي تشك في ارتباط كل كتلة داخلية بطرف خارجي. هذا ادى الى عجز من انتخبهم الشعب، الذين يشكلون خمس كتل كبيرة: واحدة شيعية، واحدة درزية، واحدة سنية واثنتين مسيحيتين، غير قادرة على حكم البلد. لنلاحظ الاداء الحكومي: امام الحكومة عدد من المشكلات لا تستطيع حلها: كيفية بلوغ الحقيقة والاقتصاص من القتلة، كيفية التعامل مع القرارات الدولية، كيفية التعامل مع سوريا في هذه المرحلة الحرجة لا المستقبلية وكيفية اقامة دولة".

ورأى ان "هذه المجموعة من المخاوف قد تؤدي الى حرب. لماذا؟ لان الحرب الاهلية لا تولد بقرار على عكس الحرب الدولية، الثورة او القمع. الحرب الاهلية تدهمنا فجأة ولا يسعنا شيء حيالها. فحرب 1975 تأسست في عام 1969 الذي حفل بانقسامات اجتماعية حول المشكلة الفلسطينية والمشاركة في السلطة. كان هناك "بروفات" ومشاحنات ومعارك سابقة واعتكاف حكومي ايضاً قبل ان تنطلق الحرب. في الجولة الاولى، لم تبق قيادة الا حاولت ايجاد الحلول وايقاف الحرب، لكنها لم تستطع. وطوال الحرب كان ثمة سباق بين القصف والحرف. الحرف الذي انتصر في اتفاق الطائف لم ينقذ.

هذه الحرب دخلت عقول الناس الذين بدأوا ينتقلون من المناطق المقيمين فيها الى مناطق طوائفهم".

وشدد الصايغ على ان "المجتمع المدني يجب ان يكسر الصمت. الحرب تبدأها قلة، وهذه القلة نفسها تستطيع القول لا نريد الحرب. كنا قد خططنا لهذه الحملة منذ مدة، لكننا قررنا التعجيل بها بعد احداث الاشرفية الاخيرة، وقد اعطينا انفسنا فترة سنة. لسنا مؤسسة او حزباً او تجمعاً. ثمة نشاطات سنحملها على عاتقنا، واخرى نتعاون فيها مع مؤسسات المجتمع المدني من مدارس وجامعات ووسائل اعلامية وفنانين وكتّاب. كل هؤلاء يجب ان يقوموا بنشاطات على المستويات كلها، لتعليم ثقافة حق الاختلاف واحترام المختلف معه والتعامل بواسطة الحوار ومنع انشاء "غيتوات" مغلقة".

لذلك صمم فنانون مجموعة بوسترات، تنتظر طباعتها ونشرها في وسائل الاعلام والمؤسسات، وتنظّم جمعية الفنانين التشكيليين معرضاً فنياً، كما ثمة مشروع لمعرض صور فوتوغرافية في نقابة المصورين الصحافيين.

وتنطلق الحملة قبل 13 نيسان، في قاعة احد الفنادق، حيث سيكون هناك "مفاجآت" كما يقول الصايغ، وسيوزّع الورد الأبيض، الى محاضرات وندوات، واتفاق ميثاق شرف مع وسائل الاعلام، ونشاط آخر مع المدارس الخاصة.

لمن يرغب في توقيع العريضة وكسر الصمت والعمل ضد العنف، لئلا تتكرر الحرب الدخول الى

www.nowarlb.com

كما يمكن تمويل نشاط من النشاطات الكثيرة التي تنوي الحملة القيام بها.

"المجمع الثقافي العربي" رأى في الحوار طريقاً إلى الاستقرار

اجتمع اعضاء مجلس امناء "المجمع الثقافي العربي" برئاسة امينه العام الدكتور عبد الرؤوف فضل الله، واصدروا بياناً دعا "الى حوار هادئ ورصين يؤدي الى الوفاق السياسي الذي سيؤدي حتماً الى الاستقرار في مختلف الميادين وبخاصة الاستقرار الامني". واضاف البيان: "الامن هو واجب الدولة الاول ينشده كل المواطنين، ما هو واجب كل مواطن، سواء كان مستقلاً او منتسباً لفئة او حزب او منظمة (...)".

مناقشة كتاب "فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي"

خضر يفصل بين المسيحية ونصرانية أهل الجزيرة

ودعوات إلى اعتماد الفكر الحضاري لحلّ المشكلات

شعبان وسعد والمطران خضر وكرعود. (سامي عياد)

نظم المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ندوة حول كتاب الدكتور عبد الحسين شعبان "فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي"، قدمت لها العضو في الهيئة الادارية للمجلس سلوى سعد التي تساءلت: "أين نحن في عالمنا العربي وفي لبنان من الديموقراطية وحق الاختلاف دون إقصاء والغاء وتحريم وتجريم وقتل؟".

وقال المطران جورج خضر: "المسألة التي تواجه كل الباحثين في النصوص التأسيسية للديانات التوحيدية هي مسألة النقد النصي والنقد التاريخي، اذ ان السؤال الرئيسي هو ما علاقة كلام الله بالوجه التعبيري عنه. هناك وحي وهناك صورة لغوية استخدمها الله من لغة البشر في زمان محدد كما هي حال القرآن، أو في أزمنة متعاقبة كحقبات العهد القديم، وفي مدة قصيرة نسبياً كما في العهد الجديد. شيء من هذا نجده في تعاقب الطور المكّي والطور المدني في القرآن. لغته لغة الناس، معربة، مسكوبة بلهجة قريش. فالتطارح العقلي هو كيف التقت أزلية الكلمة بتاريخيتها".

وأضاف: "دون ان يتصدى شعبان لهذه المسألة بإسهاب، اذ لم تكن غايته، إنما لامسها وطرح حلوله وهذا ما جعل كتابه جريئاً جداً بالمقارنة مع ما يكتبه المسلمون اليوم ولا يزال الخفر يسيطر عليهم خشية ان يمسوا استقلال الفكر الإلهي عن الكلمة البشرية، وربما ساعدته حريته الشيعية على رؤية بين أزلية الكلمة وقالبها الانساني".

ورأى ان "التسامح الاسلامي لا يترجم لفظة Tolérance التي تحمل في السلوك معنى التعايش الاجتماعي وفيها شيء من النسبوية، في حين ان السماحة الاسلامية مفهوم قرآني. واذا صار هذا تعاملاً سياسياً في دار الاسلام فسبب ذلك أن ليس من سماحة مع أهل الشرك. أما السماحة مع أهل الكتاب فناتجة من قولك ضمناً إنك تقبل اليهودية والنصرانية لأنهما من الله. إذاً السماحة مفهوم إلهي في القرآن وليست مقولة مجتمعية بالمعنى الحديث".

ولاحظ خضر ان شعبان "يتحدث بحب للاسلام لا غلو في التعبير عنه، ويفرد في الفصل الثالث تسع صفحات عن المسيحية بكلام موضوعي محب ويفهمها كما تفهم نفسها.

منذ سنوات لا تتجاوز أصابع اليد، أخذ المفكرون الدينيون في الاسلام اللبناني يكتبون ان المسيحية يجب ان تفهم من مصادرها، وهذا شرط الحوار الحقيقي، وأنت لا تستطيع ان تبقى موضوعياً وتقول لي: أنت هكذا لان كتابي يقول عنك هذا. والسؤال هو هل ذكر القرآن معتقد النصارى يكون دالاً على المسيحيين كما نعرفهم، أم على بدع قائمة في الجزيرة فيها بعض من مسيحية وبعض من يهودية، أي بدع تلفيقية اذ لم يكن من مسيحيين في الحجاز ولم تكن كنيسة مبنية والقرآن نزل في الحجاز، وتقديري ان المسلمين لما عرفوا المسيحيين في بلاد الفتح اعتبروا أن من هم الآن هم النصارى، يعني هناك خلاف مع النصارى نحن المسيحيين غير معنيين به".

وخلص الى ان "شعبان يدعو الى البحث عن الوسائل السلمية لفض النزاعات، وذلك تعبيراً عن تطوير العلاقات الدولية والقانون الدولي"، الى ان يقول: "متى يؤتى هذا الفكر ثماره ويقرأ المسلمون كتابهم على هدي التاريخ والنقد التاريخي؟".

وتحدث الباحث السوري جمال باروت فقال: "هذا كتاب من كتب الرأي المعمقة يعكس جوانب المثقف، اذ يتطلع الى حل اشكالية او مقاربة اشكالية كبيرة يسميها مفهوم التسامح وتفصيله بشكل تاريخي. ويظهر لنا الاحتكام ما بين مفهوم التسامح في الفكر الغربي، وتحديداً في الفكر التنويري الغربي وفي الميراث اللاحق في التأصيل القانوني والمؤسسي في حقوق الانسان والحريات، وما بين هذه القيم في الاسلام بما هو دين وبما هو حضارة وتاريخ يرتبط ايضاً بمجمل المشكلات الحاصلة الآن وهنا عملية بروز الجهادية التكفيرية على وجه التحديد. ربما كانت عراقية شعبان ذات دور محفّز في اثارة هذه النقاط. كما تكمن اهمية هذا الكتاب في طرحه الكثير من الأسئلة واثارة الحوافز لطرح المزيد".

ولفت باروت الى اشارة شعبان الى ان الفكر العربي الاسلامي لم يعرّف مفهوم حقوق الفرد، انما عرف مفهوم حقوق الله وحقوق الجماعة. "الاسلام في الاصل يحكم في الوحدة الاساسية، وحدة الجماعة، فيما الاجتماع الحديث يحكم في وحدة الفرد". وقال: "التسامح موجود في القرآن كما في كل الديانات الاخرى حتى اليهودية، لكن السؤال كيف نقرأ ذلك".

وقال مسؤول منظمة العفو الدولية في بيروت التونسي الدكتور احمد كرعود: "سعادتي ان اتناول كتاباً يقدم له مطران اترقبه اسبوعياً بلهفة لقراءة مقالته في جريدة "النهار" التي تعبّد لنا بالكلمة والحرف طريقنا الى الحرية". ورأى ان "اهمية هذا الكتاب انه يطرح قضايا شكلت عوائق بالنسبة الى كل عامل في مجال حقوق الانسان يعمل في بيئة اسلامية، اذ دائماً تُطرح علينا اسئلة غريبة: هل حقاً توجد في الثقافة العربية الاسلامية فكرة حقوق الانسان؟ هل توجد فكرة التسامح؟ ان عودة المؤلف الى الوثائق التأسيسية من القرآن وحتى الوثائق ما قبل الاسلام مثل حلف الفضول وصحيفة المدينة والعهدة العمرية والسيرة المحمدية، ثم جولته في كل الوثائق او المواثيق الدولية لحقوق الانسان وجولته ومناقشته للفكر الغربي المعاصر، وخصوصاً الفكر الاصلاحي والفكر الاسلامي الليبرالي، جعله يصل الى نتيجة ان كل ما وصلت اليه الاديان والفلسفات بأننا جنس بشري واحد".

واضاف: "جاء هذا الكتاب ليدعم جهوداً ومبادرات اخرى حاولت في العقد الماضي ان تعمل على تأجيل فكرة حقوق الانسان في البيئة العربية والاسلامية ومناقشة الاشكاليات التي يطرحها هذا الجهد للتأهيل".

واخيراً كلمة المؤلف شعبان الذي قال: "ما وددت الحديث بل الاستماع". لكنه تحدث طويلاً فأوضح كيف قدم المطران هذا الكتاب بعد مناقشات عدة: "قلت له لنبدأ من التسامح في ما بيننا. انت مسيحي وانا مسلم. انت رجل دين وانا من عائلة دينية. انت مؤمن وانا اقرب الى العلمانية. انت لبناني وانا عراقي".

واشار الى انه حاول في هذا الكتاب ان يضيء الحاضر من خلال الماضي "وليس استقواء بالماضي كما يفعل بعض المتزمتين والمغالين والمتعصبين، ومن زاوية اخرى عرضت بعض الوثائق الاسلامية او حتى ما قبل الاسلام التي تبحث في فكرة التسامح وتتوقف عند ما يؤصل فكرة التسامح لدينا بما يرافق ويزاوج ما بين الحضارات والثقافات بحثاً عن المشترك الانساني".

وتطرق الى ما يحصل في الآونة الاخيرة في العالمين العربي والغربي من فعل وردود فعل، قاصداً الرسوم الكاريكاتورية للرسول وما اعقبها من ردود فعل وحرق للكنائس، مضيفاً انه "يجب ان نطرح جملة من الاسئلة الكبيرة: اين نحن من فكرة الدولة العصرية ومن فكرة المواطنة والمساواة في بلدان يجري فيها نقاش وحوار طويل وعريض لعزل الآخر وتهميشه تحت عناوين مختلفة؟".

عريضة المليون توقيع لرحيل رئيس الجمهورية

انطلقت أمس من خيمة الحرية في ساحة الشهداء

النائب انطوان زهرا متحدثاً وبدا حوله عدد من النواب ومسؤولي المنظمات الطالبية والشبابية. (سامي عياد)

كتبت ألين موراني:

بدعوة من جمعية "شباب المستقبل" التقى عدد من الشبان امس في ساحة الشهداء في ظلال "خيمة الحرية" لاطلاق حملة التوقيع على عريضة "المليون" لاسقاط رئيس الجمهورية اميل لحود.

في خلفية المشهد (نواب المستقبل والنائب انطوان زهرا وشباب الحرية) لوحتان: الاولى كتب عليها "فلّ" والثانية تحمل العريضة وعليها: "تعبيرا عن التمسك بحريتنا واستقلالنا ونظامنا الديموقراطي واستكمالا لبسط السيادة الوطنية الكاملة على مؤسسات الجمهورية اللبنانية، وتأكيدا لرفض املاءات وضغوط عهد الوصاية والتسلط، نحن الشعب اللبناني نطالب باستقالة اميل لحود من رئاسة الجمهورية اللبنانية ووضع حد لانتهاك الدستور وفرض التمديد رغما عن ارادة اللبنانيين".

وفي الجهة اليمنى لافتات كتب عليها "ما فيك دم؟ شبعنا دم"، و"يا لبنان بدنا الثار من لحود ومن بشار".

تناوب على الكلام كل من النواب وليد عيدو، مصطفى هاشم، محمود مراد، انطوان زهرا، عزام دندشي، عاطف مجدلاني، عمار حوري، هادي حبيش وأغوب قصارجيان.

وتوجهوا في كلماتهم الى شباب لبنان والى افراد الشعب اللبناني يدعونهم الى التوقيع على العريضة. مشيرين الى ان من نزلوا في 14 شباط الى ساحة الشهداء نزلوا وفاء للشهيد رفيق الحريري وولاء للبنان. وأكدوا جميعا ان عهد الوصاية انتهى "فِل لم نعد نحتاج وصاية من أحد (...) لبنان اختار قراره الحر (...) انت تعرقل الدولة والمجلس النيابي والحكومة وتسيء الى رئاسة الجمهورية".

وكان الشباب الذين لم يتجاوز عددهم المئة، يهتفون "يا لحود نزال نزال هيدي الكرسي بدها رجال". والنواب يردون عليهم "كفى... إرحل، إرحل، إرحل" وذكروا الشباب بأن مطلبهم سيستجاب لأنهم دعوا العام الماضي في 14 آذار الى خروج الجيش السوري فكان لهم ما أرادوا واليوم يهتفون من أجل حرية واستقلال لبنان من خلال ازاحة رئيس الجمهورية وسيحقق مطلبكم". وطالبوا جميعا برئيس "يكون حكَما لكل لبنان وليس محكوما".

وتطرق مجدلاني الى قضية محاكمة كل من يتعرض لمنصب رئاسة الجمهورية قائلا: "رمز الوصاية يبشرنا بالسجون، يريد محاكمتنا لاننا نقول الحقيقة انه رمز الوصاية وهو تابع لعبد تابع لعبد. ترغب في تحويل لبنان سجنا كبيرا.

ألا ترى اننا حوّلنا قصر بعبدا سجنا لك ولأمثالك؟"

وذكّر النائب عمار حوري "بقول للرئيس المغفور له بشارة الخوري ان كرسي رئاسة الجمهورية لا يستحق ضربة كف فكيف بنقطة دم".

في خصوصية الروائح

(مهداة الى عدنان حلواني)

جاع البحر ذات يوم، فابتلع اختاً كانت لي الأعز والأقرب في سلسلة الاخوة والاخوات (عددهم 14).

لم اعتد البحر، صديقي، متوحشا ليأكل اختي كلها، من دون ان يترك لنا منها شيئا!

لم اعلن ان من شيمه الغدر واللؤم، ليتفنن في ترويع اختي قبل الانقضاض عليها وافتراسها.

قالوا لنا انها ماتت هلعاً من نظراته المحدقة في خضرة عينيها لتعبر الى الجسد.

قالوا لنا ان صوت صراخها فاق هديره، فكال لها من دون حساب جرعات متتالية من ماء ملحه تكفلت بتخديرها، فاستسلمت اليه بلا ممانعة.

قالوا لنا انها توارت عن الحلبة بعد ان راقصها طويلا. كان المشهد صاخبا جدا، لكنهم اجمعوا على انه كان رقصا فريدا لم يشهدوا مثيلا له في الروعة والابداع.

توارت اختي. اختفت. خرجت من الحياة. خرجت وحيدة. كم كانت تمقت الوحدة، على الاقل، منذ زواجها بحبيب قلبها عدنان اثر حب غمرهما وهما في الثالثة عشرة من العمر.

رحلت من دون وداع. خرجت ولم تعد. خرج صراخها وملأ الدنيا.

حضر "عدنان"، المسؤول العسكري (آنذاك) عن المنطقة، الى ساحة الجريمة، ليس استجابة لهتاف الحبيبة المدوي باسمه، بل للقيام بمهام وظيفته.

غاب "عدنان" عن الدنيا بعضا من الوقت. لم يعد الا بعد ان دنا منه البحر موشوشا كلمات اعتذار مجبولة بحزن عميق، وباح له بحقيقة ما جرى، بما يخالف ما قيل، بل يناقض ذلك تماما.

لا اعرف حتى تاريخ اليوم ما اذا كان "عدنانها" قد غفر للبحر ما ارتكبه، وقد اقر له هذا البحر بفعلته. اخبره بانه من عاداته المعروفة حب البشر واستيعابهم، بالرغم من "بلاطة" وسماجة البعض.

اخبره انه من فرط اندهاشه واعجابه بهذه المرأة، ومن غير ان يعرف انه (عدنان) زوجها وحبيب قلبها، رغب في عناقها، ابدت تمنعا، اثاره ذلك، فاستدرجها بحب الى المنازلة.

لم تحب هي هذا النوع من اللعب، لم تجده يوما في حياتها. لم يخرج هو (البحر) عن أصول اللعبة.

* * *

بعد عشر سنين تقريبا، أخرج "عدناني" انا من البيت ظهر يوم من ايام الحرب المشؤومة، من بيتنا، بحجة اجراء تحقيق بسيط يستغرق خمس دقائق ويعود. لم تتح له العودة حتى الآن. خرج ولم يعد.

ما نزال ننتظره حتى الآن، انا وزياد وغسان. سمتني اختي الفنانة "امرأة الانتظار"، وعلقتني لوحة على مسمار في الجدار. اصبحنا عائلة "الانتظار".

يبدو ان جوع البشر يختلف عن جوع البحر.

لم يسمح المسلحان، بالسلاح وبأمر مهمة مشبوهة، لعدنان بتقبيلي وفقا لتقليد مستحب لدينا اثر كل خروج وعودة كل منا بمفرده.

لم يدعاه يضم طفلينا المتأهبين لتناول وجبة الغداء.

خرج عدنان ولم يعد، تبخر، اختفى، بعدما خطفه منا ظلما، في وضح ذلك النهار، ذانك المسلحان. ابتلعته ظلمة المجهول.

بدوري، ابتلعت حقيقة ما حدث. كأن البلع اضحى السلوك الاعتيادي السائد في تلك المرحلة. اذكر اني تمنيت مرة لو استطيع ابتلاع ولدي لحمايتهما من القذائف المتفجرة من كل صوب، حسبتها آنذاك كأنها تنهمر علينا من السماء.

تدحرج رأسي، اسرعت بامساكه قبل ان يرتطم بالبلاط فينكسر. فانا لم استطع تخيل انسان من دون رأس. هل يمكن لانسان اصبح بلا رأس ان يفكر من بطنه مثلا، او ان يقبل طفله بواسطة اصبعه؟!

حاولت نفسي جمع نفسي واملت عليها ضرورة استنباط القوة. لم اعلم من اين اتتني تلك القوة.

رغبت في ان يبقى الوضع المستجد بمنأى عن أعين طفلينا وآذانهما ومشاعرهما. لم اشأ تعكير صفو السعادة التي تغمرهما. وها نحن لم يكن قد مضى على عودة التئام شملنا سوى اسبوعين، بعد ان فصلت الحرب بالجغرافيا قسرا بيننا وبين عدنان اشهر عدة.

مرحبا عدناني. واخيرا وحدنا...

اندسست في السرير، من دون تجاوز المساحة العائدة الي فيه. تحسست مكان عدنان، تحدوني رغبة التحرش والدلع. لكن اصابعي لم تلامس سوى الفراغ.

كم مر من "الدقائق الخمس" التي وعد المسلحان بواحدة منها فقط لانجاز مهمتهما واعادته الينا؟!

لم استعن بوسادة عدنان الا بعدما استحال النوم على وسادة احالتها شلالات الدموع كتلة مبللة تفحّ منها رائحة تحمل اكواما من الضعف والخوف والشوق والقلق والحب، واشياء اعجز عن وصفها او استيعابها.

لم انكفئ عن حال الوجع هذه الا عندما شممت رائحة عدنان المنبعثة من الوسادة. ضممتها، امضيت الليل بكامله معانقة حبيبي، ليت الصباح غط في نومه وافاق متأخرا...

لن اغفر لنفسي، ليدي، ولا للغسالة، عندما تطاولت مجتمعة على اغطية السرير، ابدلتها باخرى، بداعي النظافة!

ترى لو لم اغسلها، هل كانت الوسادة احتفظت برائحة عدنان؟

هل للروائح خاصية البقاء رغم مرور الزمن؟ كم هو هذا الزمن؟

عدنان، هل لديك وسادة حيث انت؟ لا بد انها تحمل رائحتك!

عدنان، هل ما تزال رائحتك هي نفسها علما تشكل دليلا يقودني اليك اينما كنت، ام تغيرت مع المكان الذي انت فيه؟

عدنان، هل كانت لي رائحة مميزة لديك؟ هل ما زلت قادرا على استحضارها وشمها كلما اشتقت الي؟

تبا للنظافة، تبا للتبييض بكل وجوهه، تبا للمساحيق بكل انواعها واسمائها والوانها ووظائفها.

عدناني... كم افتقدتك، كما افتقدك.

عدناني... هل غفرت لي وقد خطفت رائحتك؟

عدنان... لو اختطفك البحر، ربما كان احبك كما احب اختي، ربما كان اعترف واعتذر.

اختي... ما زال صوت صراخك يتناهى الى مسامعي كلما تطلعت الى البحر.

كلما تطلعت اليه، أرى وجهك فيه. كلما شممت رائحته، يضوع عطرك في المكان.

عدنان... ما اصعب ان تقف بيننا حفنة صابون؟

اني افتقد رائحتك.

سؤال يتعلق بخصوصية الروائح الى الاخصائيين في صناعة الروائح العطور:

هل يستطيع واحد منكم تركيب عطر طبيعي برائحة عدنان؟

ملاحظة: ككل العشاق، وددت اهداءك هذا النص بمناسبة "14شباط".

اجلت ذلك حتى 24 منه (تاريخ عقد زواجنا)، وذلك احتراما وتحسسا بمشاعر الحزن العام الذي يلفنا بعد ان تحول هذا التاريخ عندنا الى مناسبة وطنية حزينة جدا.

ليت هذا الحزن "الجامع" بين اللبنانيين ينسحب نتفا من اعتراف واعتذار وبوح بحقيقة ما جرى.

ليت كل مخطوف يعود.

عدنان، احلم بك، احلم بوطن.

حبيبتك وداد